برتراند رسل وفلسفة السلام

Bertrand Russell's Philosophy of Peace

■ سالم حسين العادي

أستاذ مساعد، كلية الآداب، جامعة الزاوية

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث في مجمله إلي التعريف بفلسفة رسل عن السلام ونبذ كافة أشكال الحرب، وكذا موقفه من بلده بريطانيا في خوضها حروب غير عادلة ومشروعة ولتحقيق هذه الغاية سعي البحث من خلال استخدام طريقة أو منهج التحليل إلي إبراز أهم الأفكار الفلسفية التي قامت عليها فلسفة رسل الداعية للسلام العالمي مما شكل أرضية فلسفية وسياسية انطلقت من خلالها الأمم المتحدة فيما بعد إلي إقرار السلام من خلال الأخذ بمعالجة العيوب التربوية في الأمم الراقية والمتخلفة علي السواء، وكذلك دعوته إلي إقامة الاتحاد العالمي أو الحكومة العالمية التي من الممكن تحقيق أهداف ثلاثة من خلالها هي حل مشكلة تزايد السكان في جميع أنحاء العالم وتوفير المأوى المناسب لهم، وتسوية المشكلة العنصرية بإلغاء الفوارق بين جميع الأجناس وإنهاء مشكلة التطاحن المذهبي.

Abstract:

This research aims to introduce the philosophy of Rasil about peace and his rejection to all types of war as well as his position of his country Britain which was involved in many unfair wars. In order to achieve this, the researcher used the analytical approach for highlighting the most important philosophical ideas upon which Rasil's philosophy which calls for worldwide peace was established. These ideas were used as the philosophical and political background for the efforts of the UN in spreading peace across the world through treating the educational defects of both civilized and uncivilized nations. He also called for establishing the world federation or the world government which may achieve the three goals regarding solving the problem of population increase all over the world, providing suitable shelter for all people and rejecting discrimination through eliminating the differences among all races and ending the problem of the ideological conflict.

المقدمة:

يعد برتراند رسل (1872-1970) فيلسوف ومنطقي وشخصية اجتماعية انجليزية له إسهامات في تحقيق السلام، ويعد من أبرز فلاسفة عصره، وفي طليعتهم إلي جانب أنه من أكبر دعاة السلام، فهو كاتب ومربي وعالم من علماء الرياضة والاجتماع والمنطق والفلسفة.

فليس في العالم كله من ينكر قيمة آراء رسل الإصلاحية في كل فرع من فروع الحياة، لاسيما فيما يمس الشئون السياسية أو شئون التعليم أو الإصلاح الاجتماعي في جميع نواحيه[1] فهو يقول « لقد تحكمت في حياتي انفعالات ثلاثة بسيطة بيد أنها متناهية في القوة، الحنين للحب، والبحث عن المعرفة والإشفاق الشديد على الذين يقاسون ويتعذبون» [2].

وبالتالي كان من أهداف رسل الإنسانية الخالدة التي بشر بها في جميع أنحاء العالم عن طريق الكتابة والخطابة والمحاضرات قوله بأن النظم الاجتماعية والسياسية كلها في جميع أنحاء العالم أجمع، وعلى اختلاف العصور ليست سوى مؤامرة كبرى يُراد بها الحد من حرية الفرد التي كان من الضروري والمفروض أن تكون هي المدماك الذي يرتكز عليه كل نظام اجتماعي أو سياسي في العالم[3] ذلك أن حرية الفرد هي مدار فكره حين فكر في التربية، وهى مدار فكره حين فكر في الأخلاق، وهى كذلك مدار فكره حين فكر في السياسة والاجتماع [4] ولعل هذا ما جعل رسل يدعو إلى تغيير المؤسسات الاجتماعية تحقيقاً لاحترام الفرد وتنمية لدوافعه الخلاقة فهو **يقول** (إن الشئ المهم هو ضرورة تغيير مؤسساتنا تغييراً جوهرياً بحيث يجسد احترام الفرد واحترام حقوقه) [5].

فقد انتقد الشيوعية بشدة ذلك أن النظام الذي أنتجته لا يمنح أية حرية بالجدل، ولا يسمح بتعاطي أي نشاط علمي دون تقييدات، كما أنه يشجع الديماغوجية واستعمال الإكراه من أجل ترويج آرائه وفي سلوكياته شئ مما لا يمكن أن يطيب مذاقه البتة لواحد ليبرالي عريق مثله، ويضيف رسل بأن الخطأ الأساسي في الشيوعية هو الاعتقاد في الاستبداد الهادف إلي الخير ذلك أنه إذا ما جعل شعب من الشعوب من رجل ذو نوايا طيبة حاكماً مستبداً، فإن استبداده سيدوم لكن نواياه الطيبة ستنحو تدريجياً إلي الاندثار، ويعترف رسل بأن خيبة أمله كانت كبيرة بعد الزيارة التي أداها إلي روسيا إثر انتصار الثورة البلشفية، ذلك أن فكر زعيمها كان ضيقاً بكيفية جعلته غير قادر بالمرة على التفكير

خارج دائرة الماركسية[6] ويقول رسل في كتابه العلم والدين» أن تهديد الحرية الفكرية هو أكبر في أيامنا هذه مما كان عليه في أي وقت منذ عام 1660م.

إلا أنه لا يأتي الآن من الكنائس المسيحية، إنه يأتي من الحكومات التي بسبب الفوضى والتفكك الحديثين ورثت صفة القداسة التي كانت تنتمي إلى السلطات الكهنوتية، إن من واجب رجال العلم وجميع من يقدرون المعرفة العلمية أن يحتجوا ضد الأشكال الجديدة للاضطهاد بدلا من أن يهنئوا أنفسهم على تآكل الأشكال القديمة، ويجب ألا يقلل هذا الاحتجاج أي حب للعقائد الخاصة التي يدعمها الاضطهاد [7].

لقد خصص رسل السنوات الأخيرة من حياته للدفاع عن القضايا الكبيرة والخطيرة التي تشغل الإنسانية، فعارض بشدة القنبلة الذرية، وأسس مع الكاتب والفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر «محكمة رسل» بهدف التحقيق في جرائم الحرب في فيتنام والقمع في بلدان أمريكا اللاتينية، وبهذا تحولت حياة رسل من أستاذ فلسفة في كلية ترينتى إلى متطوع يرمى بنفسه بكل ثقلها في كفة مقاومة الحرب ومحاولة إيقافها، فلم يفلح في تغيير شئ إطلاقاً كما قال ولكنه لم يسلم من شظاياها، وإن لم تكن من شظايا النار والبارود، إذ قد أقاله مجلس الكلية من وظيفته كأستاذ فيها وهو ذو الباع الطويل في علم المنطق والفلسفة، وذلك بسبب مقاومته للحرب ومدافعته عمن يقاوم الحرب لأسباب ضميرية، فلم يندم على خسارة وظيفته، إذ لم تكن سوى خسارة بسيطة فيما لو قيست بالخسائر التي تكبدها غيره من مقاومي الحرب، ولم ترهبه سطوة الدولة وغطرسة أصدقائه ومعارفه من المسئولين الجامعيين، كما يعلم علم اليقين أن غاية الدولة من اضطهاد رافضي الحرب هي شل إرادتهم على التفكير وتدمير الضمير الذي يحركهم لمقاومة الحرب أما عن طريق المضايقة أو الإرهاب أو السحق أو الخداع أو أية وسيلة أخرى[8].

أما عن أكبر خطر يهدد مستقبل الإنسانية عند رسل وهو أن تتم عسكرة الشعوب كلياً، الشئ الذي يفتح الباب واسعاً أمام الحروب والنزاعات القاتلة والمدمرة وهو يضيف قائلاً بأن المعضلة الأساسية في العالم الحديث تكمن في نفسية الأفراد وفى مكر الأهواء الفردية، وإذا ما أردنا مستقبلاً أفضل للإنسانية فإنه يتوجب على حكومات العالم بأسرها العمل على الخلاص من الفقر، والتركيز في مناهج التعليم، وعلى فكرة أن الإنسانية عائلة واحدة ذات مصالح مشتركة وأن التعاون أهم بكثير من المزاحمة وأن حب الغريب ليس

فقط بمجرد واجب أخلاقي من تلك الواجبات التي تلقن داخل الكنائس، بل هو بالأحرى السياسة الأكثر حكمة من وجهة نظر السعادة الخاصة بالفرد، وينصح رسل الإنسانية باستعمال ما وفرته لها الحضارة الحديثة من وسائل من أجل نشر الخير والسلام والمحبة، فإذا ما تم لها ذلك فإن العالم حسب رأيه سيكون أكثر فرحاً وثراء بسعادة الخيال والوجدان من أي عالم أخر عرفه الإنسان قبل الآن [9].

أهمية البحث:

تكمن الأهمية في سبر أغوار القيمة الفلسفية لفكر الفيلسوف رسل لاسيما عن النزعة إلى السلام ونبذ كل أشكال الحروب وفي أعلاها الحرب النووية.

أسباب اختيار البحث:

واقعية هذا الفكر المعاصر كانت من أسباب ودواعي اختيار الموضوع، وذلك محاولة منا في إظهار الطريقة أو الكيفية التي حاول الفيلسوف رسل أن يقارع بها الحكومات وفي مقدمتها الحكومة البريطانية تجاه سياستها المعاصرة لتحقيق المصلحة القومية وانفرادها في خوض الحروب اللامشروعة وغير العادلة.

منهجية البحث:

اقتضت المنهجية العلمية في هذا البحث الاعتماد على منهج تحليلي من أجل الإحاطة قدر الإمكان ببواطن فلسفة السلام كما دعا اليها الفيلسوف الانجليزي رسل، وكونها فلسفة عملية شكلت جوهر الفكر السياسي الداعي إلى إحلال السلام محل الحروب.

ومن هنا كان لزاماً أن نقسم هذا البحث إلى ثلاثة مطالب هم:

المطلب الأول: الحرب والسلام في فلسفة برتراند رسل

عُرِفَ الكاتب والفيلسوف الإنجليزي برتراند رسل بنزعته السلمية ولاسيما في أواسط القرن العشرين وحتى نهاية حياته، بل إن سمعته هذه استمرت لسنوات عدة بعد رحيله، وذلك بفضل إنشائه مؤسسة السلام التي أخذت تقود الحملات ضد كل ما يهدد سلام الإنسانية وحريتها، وتقود المظاهرات ضد وسائل التدمير النووي[10]، ومحاكمة مجرمي الحرب معنوياً وإدانة المسببين للحروب، غير أن هذه لم تكن سمعة رسل دائماً، ولاسيما عند بدايات القرن العشرين فهو وإن لم يكن بالطبع من دعاة الحروب ومن الساعين

إليها، حيث وضع بعد عام ونصف العام من اندلاع الحرب العالمية الأولى نصاً اشتهر في حينه وتسبب له في العديد من المشاكل مع حكومته بريطانيا كان عنوان النص «أخلاقيات الحرب» وفى هذا النص دافع رسل عما سماه «حروب الاستعمار» لكنه في الوقت نفسه وقف ضد اشتراك بريطانيا العظمى في الحرب العالمية الأولى مما جعل لندن تطارده، ومن ثم محاكمته بتهمة التدخل في السياسة الخارجية لبريطانيا، ولعل ما أغضب الحكومة في ذلك الحين هو أن رسل قال: إن على «العمال البريطانيين أن يحذروا الجيش الأمريكي، لأن من عادات هذا الجيش قمع التظاهرات العالمية»[11] يومها سجن رسل وحين أطلق سراحه وضع تحت المراقبة، ويقال أن هذه المراقبة ظلت تلاحقه حتى آخر حياته، فهل في الأمر مفارقة؟ فكيف يدعو رسل إلى الحروب الاستعمارية في نص يثير غضب حكومة بريطانيا فتسجنه؟

إن قراءة ذلك النص ستقول لنا أن ليس في الأمر غرابة ذلك أن ما كتبه رسل هنا إنما هو شرح وتفسير لأربعة من أنواع الحروب، رأى أن منها ما يمكن تبريره ومنها ما لا يمكن تبريره، وهو إذ يرى أن ثمة حروباً يكون من آثارها مناصرة الحضارة والتقدم، فإن في الوقت نفسه حروباً لا دافع لها على الإطلاق، ويبدو أن الحكومة البريطانية قد وجدت في خطاب رسل السابق أنه يشير إليها فيما يتعلق بالحروب الأخيرة، بل الحقيقة إنه يشير إليها فعلاً، وبل نستطيع القول أنه ما كان ليكتب مقاله إلا لغرض أن يصل إلى تلك الإشارة.

في البداية يقول لنا رسل إن مسألة الحق والصواب في حرب معينة إنما ينظر إليها بصورة عامة ومن وجهة نظر حقوقية أو شبه حقوقية، مثلاً فلان آذ خان فلان أو أعلن خرق معاهدة ما، أو اخترق حدوداً ليست له، أو قام بعدوان معين، مما يجعل من الحق معاقبته أو قتله، غير أن رسل يرى ثمة منطقاً غير صحيح في مثل هذا القول وثمة تقييم غير صحيح، فالواقع أن في خلفية الحروب وفى شكلها الدائم جملة لا تنتهي من الأسباب والدوافع، فإذا شئنا التحدث عنها قد يجدر بنا أن نتوقف عند أربعة منها وذلك حسب تصنيف رسل لها[12]، فهذه الأنواع يكرس لها رسل الجزء الأكبر من صفحات مقاله هذا، فهو بعد ما يؤكد لنا أن خط سيره في فكره يسير مع فكرة تقول إن من الضروري في النظر للحرب أية حرب، أن نأخذ في الحسبان ليس فقط تبريرها النظري على ضوء

الاتفاقات المعقودة سابقاً بل تبريرها الحقيقي في ميزان الخير الذي يمكن أن تأتي به إلى الجنس البشرى، واللافت هنا أن رسل يرى في الحروب الاستعمارية مثل هذا الخير، فهذه الحروب هي التي تشغل النوع الأول في نظره حيث يحدد مسار حديثه هنا بالأنواع الأربعة التالية حروب الاستعمار الاستيطاني، حروب المبادئ، حروب الدفاع عن الذات، وأخيراً حروب الهيبة والكبرياء القومي.

وبداية يقول لنا رسل أن النوعين الأولين يمكن تبريرهما، أما النوع الثالث فبالكاد يمكن تبريره، فيما لا يمكن تبرير النوع الرابع على الإطلاق، وهذا النوع هو الذي يرى رسل أن بريطانيا تخوضه مما حدا به إلى مهاجمة الجشع البريطاني ودعوته إلى السلام بمقالات ومحاضرات من نار وفي منتهي الجرأة فقبضت عليه الحكومة وحاكمته وحكمت عليه بالسجن ستة أشهر[13]. ومن هنا فإن حربها هذه مرفوضة، ويقول رسل ـ متابعاً ـ الحروب الاستعمارية هي تلك التي تكمن غايتها في زحف شعب بأسره إلى منطقة ما ليبدلها عبر غزوه سكان هذه المنطقة المنتمين إلى عرق مختلف غالباً، كالحروب القديمة مثلاً بما فيها الحروب على الهنود الحمر، صحيح أن هذه الحروب تبدو شديدة القسوة لكننا إن أخذنا نتائجها في الاعتبار سنجدها مبررة، لأن الحضارة لم تنتشر في العالم بعد كل شئ، إلا بفضل مثل هذه الحروب.

النوع الثاني هو حروب المبادئ مثل تلك التي دارت بين البروتستانت والكاثوليك، أو بين الإنجليز والأمريكيين في أميركا الشمالية وهذه الحروب تكون ناتجة من اعتناق فئات معينة أفكاراً تريد نشرها في العالم على حساب أفكار أخرى، ومثل هذه الحروب يمكن تبريرها، وخصوصاً في حال كانت معنية بأمر أمة تمارس طقوس عبادية معينة فتعرضت لهجوم من أمة تمارس طقوساً أخرى، إذ هناك شك في أن خوض الأمة الأولى للحرب دفاعاً عن مبادئها يمكن تبريره [14].

أما حروب الدفاع عن الذات فهذا النوع من الحروب يبرر دائماً من كل الناس وفى كل الأزمان باستثناء السيد المسيح وتولستوي اللذان لا يريان مبرراً لمثل هذا الدفاع، لكن رسل يلفتنا هنا إلى بما أن كل علماء الاستراتيجيات يؤكدون لنا أن خير وسيلة للدفاع هي الهجوم لذا يجد الأمور مختلطة، ومن هنا تحفظ على تأييد أو إدانة هذا النوع من الحروب، وعلى العكس تماماً بالنسبة إلى النوع الرابع والأخير من الحروب حروب الهيبة

فهنا يقول رسل: إن هذه المشاعر غالباً لا تكون سوى عنصر واحد من العناصر الكامنة وراء حرب ما، لكنها مع هذا عنصر شديد الأهمية، ورسل يرى أن الحرب الراهنة ـ أي الحرب العالمية الأولى ـ كانت هكذا حتى بداياتها ثم تبدلت لتدخل فيها عناصر أخرى، لكنه بالرغم من ذلك فإنه لم يرَ في أي من هذه العناصر مبرراً لها فيما لو أبدي خصومه حججاً دامغة عن صحة الحرب العالمية الأولي وضرورتها، ولأنه كما قال في كتابه عن العدالة في زمن الحرب لا يعتبر كل حربٍ شراً إذ أن بعض الحروب قد تكون ضرورية بل واجبة دفاعا عن النفس مثل الحرب العالمية الثانية ضد الفاشية والنازية، وهو لم يجد مبرراً للحرب الكونية الأولى، ولهذا عمد إلى مقاومتها بما أوتي من قوة، ويمكننا القول بأنه قد جن جنونه عندما اندلعت فاستشاط غضباً، وطار لبه حقداً على كل من صمم لتلك الحرب وخطط واشترك فيها، وليس أصدق من موقفه عندما استيقظ يوم اندلاع الحرب على ضجيج وأهازيج المغتبطين من عامة الشعب، فذهب إلى غرفة نومه مكتئباً كسير الجناح[15]. فهو يقول: «إن حرب 1914 قد جعلته ينفض عن نفسه غبار الكثير من التميزات والمعتقدات التي كان يدين بها، وأنه يبدأ التفكير من جديد في عديد المسائل الأساسية»[16].

ولكن لكي نفهم الدافع الذي حدا برسل لمقاومة الحرب والنفور منها لابد لنا من فهم الوضع النفسي الذي كان بحياته، وليس أبلغ من المرارة التي أحسّ بها تجاه الحرب من المقطع الذي ينهي به كتابه « أسس لإعادة البناء الاجتماعي » سنة 1916م، حيث يظهر فيه موقفه الشبيه بموقف نبي يندد بأقوياء العالم ويتوعدهم بما يخبي الله لهم من عذاب نتيجة أعمالهم الشريرة فيقول: « إنه كان من حسن حظي أن احتككت كعالم بشبان من دول متعددة، شبان كان يعيش فيهم الأمل وتغلي في داخلهم طاقة إبداعية كان بإمكانها أن تحقق في العالم على أقل تقدير جزءاً من الجمال الخيالي الذي عاشوا فيه، لقد جرفتهم الحرب، البعض من هذه الجهة والبعض من الجهة الأخرى، بعضهم لا يزال يحارب والبعض تشوه لمدى الحياة، وبعض آخر أصبح في عالم الأموات، ومن هؤلاء الذين سيبقون على قيد الحياة يخشى أن يكون الكثير منهم قد فقد حياة الروح، وأن يكون الأمل قد مات فيهم والطاقة قد هدرت منهم، وما السنون الآتية إلا مجرد رحلة شاقة إلى مثواهم الأخير، لم يبدر رغم كل هذه المآسي ولو من جماعة قليلة من المعلمين أي أثر من الشعور، لقد برهنوا بمنطق لا يعرف الرحمة على أن التضحية بأولئك الشبان قد جرت

بشكل لا مفر منه، ومن أجل غاية مجردة وباردة، ولما كان لا يلحقهم أي أذى فسرعان ما كانوا يغرقون بعد أي هجوم وقتي على مشاعرهم في راحتهم المعهودة، لقد ماتت حياة الروح في رجال كهؤلاء ولو كانت حية لكانت أسرع للقاء روح الشباب بحب وعطف كحب الأب والأم، لكانت تناست حدود الذات، ولكانت جعلت مأساة الشباب مأساتها، ولكن شئ فيهم قد صاح» [17].

ويقول هنا أيضا كلا هذا غير حق هذا غير حسن هذا الذي يقتل فيه بهاء الشباب ويداس فيه ذكاؤهم ليس لسبب مقدس من ارتكب الخطيئة هو نحن الكبار، نحن قد أرسلنا هؤلاء الشبان إلى المعركة بسبب شهواتنا الشريرة وموتنا الروحي وفشلنا لأن نحيا بكرامة في دفء القلب ورؤية الروح الحية، فلنصمد نحن من هذا الموت لأننا نحن الموتى وليس الشبان الذين يموتون نتيجة خوفنا من الحياة، حتى أشباحهم فيها أكثر مما فينا، إنهم يجعلونها عارا وتهمة بكل الأجيال الآتية من أرواحهم ستخرج الحياة أما نحن فيجب أن يصمونا بالعار[18].

كان رسل قبيل اندلاع لهب الحرب العالمية الأولى في كامبردج يناقش الموقف مع كل إنسان يجده في طريقه، كان ذلك في أثناء الأيام الأخيرة اللافحة الحر من شهر يوليو، فقد استطاع أن يجمع توقيعات عدد كبير من أساتذة الجامعة والزملاء على بيان يدافع عن حياد إنجلترا، ونشر هذا البيان في جريدة مانشستر جارديان ولكن بمجرد أن أعلنت الحرب بالفعل واشتركت إنجلترا فيها تخلى معظم الموقعين على البيان عن موقفهم المدافع عن السلام وشرعوا يؤيدون الحكومة الإنجليزية في كل تصرفاتها[19] وحينما قامت الحرب العالمية الأولى 1914م أخذ رسل يقاومها وينادى بحياد إنجلترا، وجعل يحرض الشباب على الامتناع عن التجنيد، فقدم إلى المحاكمة عام 1916م بتهمة تسفيه قرار صاحب الجلالة فكان أن حكم عليه بغرامة مالية قدرها مائة جنيه، لم يكن يملكها فاضطر إلى بيع مكتبته، ومع ذلك واصل حملته على الحرب، وكتب مقالاً عنيفاً عام 1917 هاجم فيه نظام التجنيد فقبضت عليه الحكومة، وحكمت عليه بالسجن فسجن في سجن « بريكتسون» [20].

وعلى أثر مقال عنيف كتبه في مجلة (تربيونال) عام 1918 حكم عليه بالسجن أربعة أشهر ونصف لدعوته إلى وضع نهاية للحرب والإصرار على مطالبة إنجلترا بالحياد بين

الأطراف المتحاربة. ذلك أنه عندما تظل إنجلترا محايدة لا تحدث لها خسائر فادحة خصوصاً في الأرواح حيث قال في هذا النص: «من الطبيعي أن يتصرف المجانين المتعطشون للقتل إلى القضاء على بعضهم البعض ولكن يجب على العقلاء أن يبتعدوا عن طريقهم» [21].

وقد تسبب هذا الموقف أيضاً في تجريده من لقب اللورد الذي ورثه عن أبيه وعزله من وظيفته بالجامعة كما ذكرنا، ولكنه تحدى كل تلك القرارات وكل الأصوات التي عارضته ونشر كتابين يحملان إلى اليوم دعوته المخلصة لسلام يجنب العالم ويلات الدمار، الأول بعنوان مثل سياسية عليا (1917) يستعرض فيه أسباب النزوع إلى الحرب ويدلى برأيه في النظام الاقتصادي الأمثل الذي ينبغي أن يسود المجتمعات، وفيه يرى أن مجتمعاتنا الحالية قائمة علي شيئين هما: مبدأ القوة ومبدأ الملكية [22]، وكلاهما غير موزع بالعدل بين الناس وبالتالي لكل منهما في الحياة الواقعة أكبر الأثر في سعادة الفرد، وهما من الخيرات التملكية ومع ذلك فبغيرهما تصبح الخيرات التي يجب أن يتقاسمها الجميع عسيرة المنال كما تجري الآن الأمور، والواقع أن الإنسان على ما هو عليه الآن ليس حراً إن لم يكن له ملك ولا يملك أمنا ولا طمأنينة للحصول على ضرورات حياة محتملة الآلام، وليس بغير القوة فرصة ليكون له رأياً شخصياً فإذا أردنا أن تتاح للأفراد الفرصة كي يستعملوا مواهبهم الإبداعية فيجب تحريرهم من الحاجة المادية، كما يجب أن يكون لهم نصيب كاف من القوة بحيث يمكنهم من المشاركة في تيار الحياة التي يحيونها والتملك هو السبب الأول والمباشر للحرب، ولذا فالعالم محتاج إلى إعادة بناء النظام الاقتصادي من جديد وبالتالي زادت هذه الحرب من إيمان رسل بالاشتراكية وتحبيذه لإعادة تنظيم الصناعة على أساس نقابي لا تتدخل الدولة فيه، فهي شر عظيم ومن الأفضل تجريدها من معظم أعمالها وإعطائها إلى نقابات المنتجين التعاونية[23]، وكان يرى أن الرأسمالية ونظام الأجور يجب اختفاؤهما من الوجود، وأن يحل مكانهما نظام جديد آخر يحطم طغيان صاحب العمل ويجعل العمال آمنين من الحرمان، وبذلك يتحقق أكبر إنتاج ممكن وضمان العدل وتحرير الدوافع الإبداعية، والتقليل من الدوافع التملكية التي ترمى إلى الاستحواذ والكسب الفردي الذي لا يمكن المشاركة فيه وهذا يتركز في دوافع التملك، والدوافع الإبداعية التي ترمي إلى إيجاد نوع من الخيرات وإضافتها لكي يقتسما العالم أجمع بحيث لا تكون ملكاً خاصاً بأحد[24].

أما الكتاب الثاني فهو « الطريق إلى الحرية» سنة 1918م فرسل كان ينظر في هذا

الكتاب إلى أن الرأسمالية هي إحدى السبل التي تؤدى إلى الحرب وذلك لأسباب عدة منها رغبة رجال المال الرأسمالية في إيجاد ميادين جديدة للاستثمار في البلاد غير النامية، وارتفاع سعر الفائدة في الشركات المقامة في البلاد المتخلفة، وعدم الاستقرار السياسي في بعض البلاد ومقاومة حكوماتها بالقوى العسكرية ومن ثمة لابد أن ينتهي كل ذلك إما إلي المساومة الدبلوماسية أو إلى الحرب[25]، ونمو النزعة العدوانية في نفوس من يتعودون السلطة باعتبارهم رأسماليين يحوطهم أعضاء متملقون، ثم يتساءل: ولكن هل إلغاء الرأسمالية يكفى لمنع نشوب الحروب؟ ويجيب بأن العالم كان يعاني من الحروب قبل قيام الرأسمالية، لأن المقاتلة غريزة مألوفة في الحيوان، ولأن الإنسان بطبعه محب للتملك والعدوان، وأنه من الصحيح أن إلغاء الرأسمالية يقلل من الدوافع إلى الحرب، ولكنه لا يمنعها كلية، إذ ستبقى غريزة السيطرة في الإنسان وستبقى الكراهية الغريزية بين الأجناس، وبالتالي فالحرب مشروع اقتصادي وسياسي خاسر سواء بالنسبة للمنتصر أو المهزوم[26].

إن التملك أعنى الشعور الذي يدفع إلى الاستحواذ والاحتفاظ هو السبب المباشر للحرب، والأصل الذي ينشأ عنه ما يعانيه العالم السياسي من آفاق، فإذا أضفنا من قوة هذا الشعور وسيطرته على حياتنا اليومية، أمكن وجود الهيئات التي تستطيع أن تنفع الجنس البشرى نفعاً محققاً، ومن المستطاع وجود مثل هذه الهيئات التي تلطف من حدة الطمع إذا أعدنا بناء النظام الاقتصادي من جديد، فالرأسمالية ونظام الأجور، هما الوحشان التوأمان اللذان ينهشان جسد العالم العليل، ونحتاج مكانهما إلى نظام آخر يلجم الغرائز الوحشية في الحياة الإنسانية، فتقل بذلك المظالم الاقتصادية التي تمكن الكثير من الغنى والثراء دون أن يعملوا شيئاً، وتسبب الفقر والألم لمن يقومون بأشق الأعمال ويكدحون طوال أيامهم ولياليهم[27].

وعلى ذلك فنحن نحتاج قبل كل شيئ إلى نظام يحطم طغيان صاحب العمل ويجعل العمال آمنين من الحرمان – قادرين في الوقت نفسه على إيجاد منفذ للرأي الشخصي في إدارة الصناعة التي يعيشون منها، يستطيع نظام أفضل أن يكفل هذه المزايا جميعاً ومن المستطاع تحقيقه عن طريق الديمقراطية كلما أثقلت كاهل الإنسانية متاعب وآلام لا مساغ لها، وإن كانت الديمقراطية سواء في السياسة أو في الصناعة ليست حقيقة سيكولوجية طالما بقيت الحكومة أو الإدارة يشار إليها بضمير الغائب كهيئة بعيدة تعيش بطريقتها المتعالية [28].

ولهذه الأسباب فإن غايات الديمقراطية الحقيقية لا يمكن تحقيقها في دولة اشتراكية

وأن كانت الاشتراكية تمثل الحل لمساؤئ السلطة في النظم الرأسمالية [29]، أو في أي نظام آخر يضع قوة كبيرة في أيدي رجال ليسوا عرضة لأية سلطة عامة شعبية عدا السلطة الموكولة إلى البرلمان، وبنظرة فاحصة في حركات الأفراد السياسية نجد أن غريزة حب القوة أقوى بكثير من الغرائز الأخرى الاقتصادية الذاتية عند من يتمتعون بتأثير سياسي كافٍ، فحب القوة يدفع المليونير العظيم الذي يملك من المال أكثر مما يستطيع إنفاقه إلى الاستمرار في جمع الثروة كيما يدير فأكثر من مالية العالم، وحب القوة هو العالم المسيطر على كثير من السياسيين وهو أيضاً العلة الرئيسية في قيام الحروب، ولهذا السبب فإن كل نظام اقتصادي يهاجم الدوافع الاقتصادية دون أن يعنى بمسألة تركيز القوة ليس من المحتمل أن يخلق أو يؤثر في أي إصلاح في العالم، وهو كذلك من الأسباب الرئيسية كي يجعلنا ننظر إلى الدولة الاشتراكية بعين الشك [30].

أما مشكلة توزيع القوة فأكثر تعقيداً من مشكلة توزيع الثروة وقد ركزت الآلية الحكومية كل اهتمامها للقوة العليا وتجاهلت القوة المنفذة السريعة ولم تفعل شيئاً لصبغ الإدارة بالنظام الديمقراطي، فموظفو الحكومة نظراً لما لدخلهم واطمئنانهم إلى مركزهم الاجتماعي، أكثر تحيزاً إلى جانب الأغنياء الذين كانوا يزاملونهم إبان الدراسة، وسواء أكانوا في جانب الأغنياء أم لم يكونوا فهم للأسباب التي ذكرناها ليسوا مدعاة للتقدم بحال من الأحوال، وما ينطبق على موظفي الحكومة يمكن أن ينطبق أيضاً على أعضاء البرلمان ومع هذا الفارق الوحيد وهو أن هؤلاء عليهم تزكية أنفسهم للناخبين.

إذاً كيف يمكن منع نشوب الحروب؟ هنا يقدم رسل جملة من الاقتراحات جاءت في متن كتابه سالف الذكر وهي الآتي ذكرها:

أولاً: نزع السلاح بشرط أن يتم ذلك في وقت واحد واتفاق متبادل بين الدول الكبرى، ولا أمل في نجاح هذا الاتفاق طالما ظل الحقد وسوء الظن سائدين بين الدول، إذ ستتهم كل منها الأخرى بعدم الإخلاص في تنفيذ تعهدها، ولا سبيل إلى التخلص من الحقد والكراهية إلا بإيجاد جو دولي عقلي وأخلاقي يحقق الوسائل والضمانات الكافية بإنشاء المنظمات التي تحقق التعاون وتوفر حسن النية المتبادل [31].

ثانياً: تحرير الشعوب التي لا تزال مستعمرة أو خاضعة لنفوذ سلطان غيرها من الدول الكبرى.

ثالثاً: إنهاء الشرور القائمة على المنافسة وحب السلطة والحسد بتربية أفضل ونظام سياسي أمثل.

وهذا ما جعله يواصل في كتبه بعد الحرب الأولى دعوته للسلام فحصل على جائزة نوبل للآداب عام 1950م، كما حصل على وسام بيرس الفضي من أجل دعوته للسلام عام 1955م، وأخذ يجاهد بكافة الوسائل حتى ينشر فكرته حول السلام، فكان أن أصدر نداءه العالمي على أثر انعقاد أول مؤتمر لأقطاب العالم في جنيف في عام 1955م ومعه نخبة كبيرة من علماء العالم وعلى رأسهم «ألبرت أينشتاين».

وجاء في هذا النداء الموجه لحكومات العالم أجمع إن عامة الشعب والكثيرين ممن في مراكز السلطة لم يدركوا حتى الآن ما ينجم عن حرب تستخدم فيها القنابل النووية، إن عامة الشعب ما زالوا يفكرون في نطاق تدميرها للمدن، ومن المعروف أن القنابل الجديدة أقوى من سابقتها، فبينما استطاعت قنبلة ذرية واحدة أن تدمر هيروشيما، فإن قنبلة هيدروجينية واحدة تستطيع أن تدمر مدن مثل لندن ونيويورك وموسكو، ونظراً لأن الأسلحة تهدد بفناء الجنس البشرى فنحن نهيب بحكومات العالم أن تدرك وأن تصرح علناً بأن مراميها لا يمكن أن تخدمها حرب عالمية، و بناءً على ذلك يجب أن تجد الوسائل السلمية لتسوية كل ما بينها من أسباب الخلاف [32].

وفي عام 1961 أراد رسل أن يكتل حوله الرأي العالمي لمناهضة التجارب الذرية، ولجأ في ذلك إلى المقاومة السلبية وجلس على رصيف الطريق في ميدان لندن ومعه ألوف المثقفين، ثم سار في موكب يعلن فيه احتجاجه على تلك التجارب، وعلى إقامة قاعدة للغواصات الذرية الأمريكية في اسكتلندا وقد أثارت هذه المظاهر السلمية حنق السلطات البريطانية على رسل فزجت به وبزوجته الرابعة في السجن لمدة أسبوع، ولكن رغم كل هذه العقبات فقد مضى في دعوته قدما وجمع حوله الصفوف في شتى أنحاء العالم وذهب يحاضر في مجلس السلام العالمي الذي عقد في هلسنكى[33] عام 1961 ليلقى بوجهة نظرة في السلام، إذ أن الإنسانية تواجه موقفاً لم يسبق لها أن واجهته أبداً على مدى التاريخ الإنساني فإما أن تنبذ الحرب أو يجب عليها أن تتوقع فناء الجنس البشرى وقد تعالت صيحات كثيرة من رجال العالم والسلطات العلمية بالإستراتيجية العسكرية منذرة بالخطر الداهم، ولن يستطع أي الأطراف أن يحرز النصر لأي من الجانبين، ولابد لتحقيق السلام من تدمير شامل للقنابل الذرية والهيدروجينية وغيرها من وسائل الدمار ولابد أن تدرك الدول الكبرى أنها لا يمكن أن تحقق أهدافها عن طريق الحرب، ولكن

ما هي الخطوات التي يجب اتخاذها لتحقيق السلام العالمي؟ هنا يقدم رسل جملة من الاقتراحات من ضمنها الآتي:

1- بيان يصدره العلماء لشرح أضرار الحرب العالمية وذلك بأسلوب بسيط ويوزع هذا البيان على جميع حكومات وشعوب العالم لكي يدركوا مخاطر أي حرب عالمية أخرى[34].

2 - ضرورة وقف النزاع بين الكتلتين العالميتين بوسائل الاقتناع والتفاهم .

3 - التوقف فوراً عن الصراع والنزاع سواء ساخناً أو بارداً.

4 - عقد هدنة مؤقتة تقوم على أساس الاحتفاظ بالأوضاع القائمة [35].

5 - إجراء مفاوضات لوقف الحملات الصحفية بين الجانبين.

6 - تشجيع التبادل التجاري والثقافي لخلق جو مناسب بين الدول [36].

المطلب الثاني: رسل وموقفه من الحرب النووية:

لرسل كتاب صدر عام 1959 تحت عنوان "الوعي العام والحرب النووية" يعلن فيه الآتي:

1- شديد أسفه على الغرب وشكهم في نوايا الداعيين لحملات السلام واتهامه لهم باليسارية وتنفير الرأي العام من القائمين بالدعوة إلى السلام[37].

2 - خطر السلاح النووي يجعل مصير الإنسانية معلقاً في الميزان، وبالتالي من الضروري إيجاد حل يضمن للبشرية بقاءها ويقيها من خطر الفناء فمصير الإنسانية أجل شأناً من المنازعات الأيديولوجية بين الغرب والشرق، وهنا يؤكد رسل أن الموازنة أو التفضيل بين النظام البرلمان الديمقراطي والنظام الديكتاتوري والشيوعي في هذه الآونة العصيبة كأساس للحياة الاجتماعية على حساب البقاء الإنساني أن هو إلا عبث ظاهر واستهتار بالقيم الإنسانية.

3 - إن مشكلة السلام مشكلة العالم كله ولابد من تضافر جهود جميع دول العالم لإقراره بما في ذلك الدول المؤمنة بعدم الانحياز[38].

كان رسل يرى في استعمال القنبلة الذرية والهيدروجينية خطراً ليس جديداً في نوعه فحسب بل هو أشد من أي خطر عُرف في الحروب الماضية، فقد تنبأ وهو يحاضر في الجمعية الفابية عام 1935 بأن الغارات الجوية على المدن الكبرى ستعني انتشار الدمار والذعر وتؤدي إلي انهيار تام لمواردنا الغذائية وإطلاق ملايين من المتشردين الجائعين

اليائسين من المدن التي أصابها الخراب إلى الريف [39] فنحن لا نعرف بالتحديد ما قد ينجم عن إطلاق فيضان ضخم من النشاط الإشعاعي منآثار وهناك من يعتقدون ـ ومن هؤلاء «اينشتاين» ـ أن ذلك قد يؤدى إلى استئصال الحياة من الكرة الأرضية، وإذا لم يصل الأمر إلى هذا الحد فإنه من اليسير تماماً أن تصبح مناطق خصبة غير صالحة للزراعة ولا للسكن، وأن يهلك سكان مناطق كبيرة، وأنا لا أقول أن ذلك سيحدث إذا استخدمت الطاقة الذرية في الحروب، فليس هناك من يعرف إلى الآن ماذا سيحدث، ولكن هناك خطر من أن يحدث ذلك، وإذا حدث فسيكون وقت الندم قد فات [40].

بالرغم مما هو معروف من أن معظم الأمم في معظم الأحيان لتستمتع بالسلام، نلاحظ أن الحرب نظام دائم في جميع البلاد الحرة، شأنها في ذلك شأن البرلمان الذي هو أحد نظمنا المستديمة، وإن كنا نعلم أنه لا يعتقد على الدوام، إذا أريد أن أتكلم عن الحرب بصفتها تلك أي بصفتها مؤسسة دائمة، أريد أن أنظر في الأسباب التي تجعل الناس يحتملون الحرب، والأسباب التي يجب أن تجعلهم ينفرون منها، والحيز الذي يعود عليهم إذا أمكن أن يعتبروا منها، والطرق التي في وسعهم أن يقضوا بها على الحرب إذا هم أرادوا ذلك والحرب نزال بين فريقين يحاول كل منهما القضاء على أكبر عدد ممكن من الفريق الآخر أو تعطيله عن العمل وذلك لأجل الوصول إلى بعض أهدافه وهذه الأهداف عادة تكون جرياً وراء نفوذ أو طمعاً في ثروة ذلك، إن هؤلاء الناس يشعرون بلذة من إظهار سلطانهم على أناس آخرين[41].

لقد حلل رسل تحليلا نفسياً نشوب الحرب ونورد هنا هذا التحليل الذي كان من خلال إجابته على سؤال وجهه إليه (مستر وايات) ممثل التليفزيون البريطاني حيث قال المذيع: هل تعتقد يا مستر رسل أن الناس ينعمون بالحرب ويستمتعون بها؟[42].

فأجاب رسل لا شك أن عدداً كبيراً يحبون الحرب، ولم أكن أعرف هذه الحقيقة حتى صدمتني صدمة أليمة عام 1914 حين نشبت الحرب العالمية الأولى فقد كنت أنا وجميع زملائي من جماعة أنصار السلام نعتقد أن الحرب إنما تفرضها على الشعوب أجهزة حكومية خبيثة، ولكن في ذلك اليوم تجولت في شوارع لندن وتأملت في وجوه الناس فما كان أشد عجبي حين لاحظت أن الناس قد أصبحوا فعلاً أسعد حالاً مما كانوا عليه قبل نشوب الحرب، ولا زلت أعتقد أن عدداً كبيراً جداً من الناس يرحبون بنشوب الحرب بشرط ألا تكون بالقرب منهم وألا تكون بالغة البشاعة، أما إذا انتقلت الحرب إلى أراضى بلادك فإنها لا تعود لعبة ممتعة فسأله المذيع، إذا كان هناك عدد كبير من الناس

يستمتعون بالحرب فماذا عساهم يفعلون بمشاعرهم العدوانية إذا لم تعد هناك حروب؟

فأجاب رسل أعتقد أن مشاعرهم ليست عدوانية في جوهرها ولكنها تنطوي على حب المغامرة وعندي أنه من أهم الأمور أن تتاح الفرص أمام الناس لكي يغامروا، وبخاصة من طبعوا على المغامرة فتسهل لهم سبل تسلق الجبال دون نفقة كبيرة وتتيح لهم السفر إلى القطب الشمالي والجنوبي إذ أرادوا وباختصار تيسر لهم كل سبل للمغامرة[43].

المطلب الثالث: خطورة الحرب النووية:

في الكتيب السابق ذكره يعرض رسل في جزئه الأول مخاطر الحرب النووية التي قد تعصف بالوجود الإنساني كله وهو في هذا يعتمد على خطورة الموقف الدولي الذي وضعته لجنة خاصة من الخبراء الأمريكيين تعمل تحت رعاية " الجمعية الأمريكية للتخطيط القومي" ويحمل هذا التقرير العنوان التالي «1970 من غير رقابة على الأسلحة، مضمون تكنولوجية الأسلحة الحديثة» وواضعي التقرير كما قلنا من الخبراء الأمريكان وهم بالإضافة إلى ذلك قوم لا علاقة لهم مطلقاً بالحملات الموجهة ضد الحرب النووية، وبالتالي يؤخذ على هذه الطائفة من الخبراء أنهم لا يعنيهم التهويل من أخطار الحرب النووية وإنما الذي يعنيها في الأول والأخير هو استجلاء الحقائق الخاصة بالدمار النووي في حدود الموضوعية التي يمكن لإنسان أن يتصف بها[44].

فهذا التقرير يبنى فروضه ونتائجه على أساس أن حرباً شاملة لن تنشب حتى عام 1970 ورغم هذا فالتقرير لا يستبعد احتمال نشوب حرب شاملة، كما يجزم بأن الحرب الشاملة ناشبة لا محالة إذا استمرت الأوضاع في العالم على ما هي عليه دون التوصل إلى حل آخر، وهنا يخلص رسل من أن هستيريا الخوف والفزع ستصيب الشعوب وأن نفقات التسلح ستزداد يوماً بعد يوم تبعاً لذلك، وسيضطر الناس أمام هستيريا الهلع لقبول الفاقة الاقتصادية، وسينخفض مستوى المعيشة الراهن في أمريكا إلى مستوى المعيشة في كل من آسيا وأفريقيا بدلاً من أن يرتفع مستوى هاتين القارتين حتى يصل إلى ما أصابته أمريكا من رفاهية ورخاء لو أنصت العالم لصوت الحكمة والعقل واستخدام المعرفة التكنولوجية الحديثة من أجل السلام لا من أجل الاستعداد للحرب ذلك أن الحرب العلمية إذا أطلق لها العنان فلن تدع أحدا علي قيد الحياة كما ستؤدى هستيريا الهلع بطبيعة الحال إلى تقلص الحريات وانكماشها.

ولكن ماذا سيحدث إذا نشبت حرب نووية؟ هنا يجيب رسل بأسلوبه الساخر فيقول أن تقديرات الخبراء متباينة في هذا الصدد فمنهم من يعتقد أن الحرب النووية لن تهلك الكثير إذا أنها ستفنى نصف البشرية لا غير، ومنهم من هم أكثر تفاؤلاً فينتهون إلى الاعتقاد بفناء ربع البشر، ولكن المتشائمين من الخبراء يرون أن الحرب النووية ستعصف بالوجود الإنساني من جذوره، ومرة أخرى يعلق رسل على هذه التقديرات ساخراً فيقول أننا سنتبين مقدار الصدق في كل منها بعد نشوب الحرب النووية لا قبلها، وهو يهزأ من الفكرة الداعية إلى استخدام "القنبلة النظيفة" في الحرب المقاومة على اعتبار أن غبارها الذرى أقل خطراً على الكيان الإنساني، ويتساءل كيف يمكن لنا أن نضمن أن "القنبلة النظيفة" ستستخدم بدلاً من القنبلة الأخرى غير النظيفة في حالة نشوب الحرب، إذن ما هو الحل للخروج من المأزق النووي؟ هنا لابد من تقارب في وجهات النظر الدولية فلابد أن نعيد إلى أذهاننا الدروس التي تعلمناها في القرنين السابع والثامن عشـر وهى الإنصات إلى صوت العقل والتسامح [45].

فقد نسينا الدرس الذي تلقيناه على يد «جون لوك» فيلسوف العقل والتسامح في القرن الثامن عشر، لقد كنا عقلاء عندما تسامحنا في الأديان وعندما آمنا بأن الحقائق الدينية يمكنها أن تعيش جنباً إلى جنب في وئام وسلام، وأن الحروب الدينية أثر من آثار الماضي البغيض، لقد تعلم المسيحيون والمسلمون أن يعيشوا جنباً إلى جنب، كما أدرك الكاثوليك والبروتستانت حماقة إراقة الدماء حسب الخلاف العقائدي، ولكننا لم ندرك حتى الآن أهمية العقل والتسامح في المجال السياسي.

وعلى الدول الكبرى أن تسعى جاهدة إلى إقرار السلام لا إلى المناورات السياسية التي تهدف إلى تسجيل انتصارات دبلوماسية في حرب الدعاية، ورسل في موقفه هذا لا يطالب أية دولة من الدول الكبرى بأن تتنازل عما تراه مصلحة حيوية لها، كما أنه لا يطالبها بالاستسلام من أجل صيانة السلام فرسل يؤكد أن هذا من غير المعقول، ولذلك يقترح ضرورة تجميد الأوضاع الراهنة في العالم والاحتفاظ بميزان القوى الدولي في الوقت الحاضر، ويهدف رسل من وراء تجميد الأوضاع إلى تخفيف حدة التوتر العالمي تفادياً للمزيد من القلاقل والمشاكل التي يثيرها صخب الحرب الباردة [46].

وليس معنى هذا أن يظل ميزان القوى على ما هو عليه، ولكن هذه التغيرات لابد أن تتم بالطرق السلمية دون الالتجاء إلى الحروب ودون التهديد بها والاحتفاظ بميزان القوى

كما هو عليه في الوقت الحاضر ليس إلا خطوة تمهيدية من شأنها أن تخلق الجو المناسب لزيادة التفاهم الدولي توطئة للوصول إلى حل شامل لكل المشاكل الدولية.

ويقترح رسل أن يبدأ طرفا النزاع بإصدار بيان يتعهدان فيه بنبذ سياسة العنف وعدم الالتجاء إلى الحرب كأساس لحل المشاكل الدولية كما يتعهدان بصيانة ميزان القوى الدولي كما هو عليه وبعدم السعي إلى تغييره عن طريق الإثارة والتحريض، وكذلك ضرورة إيقاف التجارب النووية وميول الطرفين لمبدأ الخضوع للرقابة والتفتيش على الأسلحة، بعد أن يتخلص الطرفان من تلك الريبة المتبادلة التي تقف حجر عثر في سبيل الوصول إلى تسوية سلمية للمشاكل الدولية، وينصح رسل هنا بإقامة هيئة مشتركة دائمة للوساطة والمفاوضات بين الغرب والشرق، لا تهدف إلى إيجاد حلول بل إلى الاستطلاع والاستكشاف تمهيداً لإيجاد الحلول وبمعنى آخر أن الهدف من تكوين هذه الهيئة هو خلق جو من الثقة المتبادلة.

ويري رسل أن تكون هذه الهيئة محدودة الأعضاء بحيث لا تزيد عن ستة أعضاء، عضوين من الولايات المتحدة وعضوين من الاتحاد السوفيتي وعضو يمثل الغرب وعضو آخر يمثل الصين الشعبية بالإضافة إلى هؤلاء يعين عضوان آخران من دول الحياد ولضمان العدالة في ميزان القوى لهذه الهيئة يختار أحد العضوين الحياديين من بلد تميل إلى الاتحاد السوفيتي والعضو الآخر من بلد حياديه تميل إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

وفلسفة رسل من ذلك أي من تقليل أعضاء هيئة الوساطة والتفاوض هو التأكيد من عدم تحولها في نهاية الأمر إلى منبر من منابر الدعاية وجلسة يستعرض فيها المتصارعون عضلاتهم الخطابية، وشرط رسل في هذه الهيئة هو أن يتمتع الأعضاء المعينون بثقة الحكومات التي يمثلون مصالحها .

فليس هناك سوي وسيلة واحدة لتأمين العالم ضد الحرب، وذلك بألا تكون سوى قوة مسلحة واحدة في العالم تملكها هيئة الأمم المتحدة التي ينبغي أن تتحول إلي حكومة عالمية، ويجب أن تحدد الحكومة العالمية قواعد معينة لاستخدام قواتها المسلحة، وأهمها أنه لابد إذا حدث نزاع بين دولتين أن تخضع كل منهما للحكومة العالمية. ويتطلب هذا الأمر سيطرة كاملة علي التربية بحيث لا يسمح لأي بلد بأن يعلم في مدارسه أية نزعة عدوانية، كما يجب أن تكون الكتب الخاصة بتعليم التاريخ قد حظيت بموافقة السلطة الدولية وثبت أنها خالية من الأكاذيب القومية[47]، وأنه حينما ينشب نزاع بين بلاد مختلفة، فلابد

أن تتصرف هذه الدولة العسكرية الواحدة وفقاً لقرار تصدره هيئة مركزية، وهذا هو ما يمكن بالطبيعة أن ينتج من اتحاد يجمع العالم كله، إذا تحقق تكوين مثل هذا الاتحاد يوماً ما « أن وحدة الأمة ثمرة العادات المتشابهة والميول الغريزية، والتاريخ المشترك، والعزة المشتركة إن وحدة الأمة ترجع إلى حد ما إلى وشائج القربى الحقيقية بين مواطنيها، إلا إنها ترجع إلى حد ما كذلك إلى ضغط العالم الخارجي ومباينته لهذه الأمة»[48].

وتكون مهمة هذا الاتحاد أو الحكومة العالمية منحصرة في أهداف ثلاثة رئيسية هي:

1 - حل مشكلة الإسكان بوسائل الحد من التزايد المستمر في عدد السكان في جميع أنحاء العالم وتوفير المأوى المناسب لهم.

2 - تسوية المشكلة العنصرية بإلغاء الفوارق بين جميع الأجناس.

3 - إنهاء مشكلة التطاحن المذهبي وذلك بتقريب وجهات النظر والابتعاد عن المشاحنات وتبديد المخاوف القديمة التي تكمن في أعماق النفوس .

فرسل يرى أنه على شعوب العالم ودوله أن تتحد في فيدراليات مستقلة استقلالاً ذاتياً وتخضع مباشرة لتلك الحكومة العالمية وهذه الفيدراليات أجملها رسل في تسعة فقط هي: الصين – الهند وسيلان – اليابان وإندونيسيا، العالم الإسلامي من الباكستان إلى المغرب، أفريقيا الاستوائية، الاتحاد السوفيتي – والدول التابعة له – غرب أوروبا وبريطانيا وأيرلندا واستراليا ونيوزيلندا – الولايات المتحدة وكندا – أمريكا اللاتينية مع تشكيل بعض البلاد التي لا تدخل ضمن هذا التقسيم مثل يوغسلافيا – إسرائيل – جنوب أفريقيا – كوريا[49].

الخاتمة :

نستطيع القول إن رسل قد ثار على المجتمع واصفاً إياه بالعار والخيانة لأجل ما تمثله الحضارة البشرية من قيم وأهداف، ومع هذا كله فإنه لم يدع إطلاقاً لحمل السلاح في وجه أي نظام سياسي مع أنه كان يتعاطف مع الاشتراكيين في مناهجهم للحرب والمجاهدة لإيقافها لكنه لم يشاركهم الدعوة إلى حمل السلاح وإيقاف الحرب بالقوة لقد كان اقتناعه بالحرية مطلقاً، وكذلك اقتناعه بعدالة النظام البريطاني الذي يحترم حرية الفرد والذي يفرد بنداً خاصاً يجيز عدم الاشتراك في الحرب لمن لا يبرر له ضميره ذلك، فلم يخفِ محاضرته في مقاومة الحرب، لأن القانون قد سمح له بذلك ولم يتوان في الدفاع عمن امتنع

عن الذهاب إلى الحرب أو الاشتراك فيها، فتطوع في صفوف الآلاف من الشبان كمشترك فعلي في حركة مقاومة الحرب، وكان من أشد المتحمسين لتلك الحركة وأكثرهم فعالية.

ولعل أشهر مواقف رسل من السلام العالمي موقفه من الحرب الثلاثية على مصر عام 1956، ثم موقفه لجرائم حرب العدوان الإسرائيلي في 5 يونيو 1967 وإرساله للجنة من المحكمة لمشاهدة جرائم الحرب التي ارتكبتها القوات الإسرائيلية وتشريدها لمزيد من اللاجئين ودعوتها في بيان رسمي إلى ضرورة إعادة اللاجئين إلى ديارهم وتعويضهم عما فقدوه من أراضي وممتلكات.

لقد كان كتاب رسل "نحو عالم أفضل" أشبه ببرنامج لهيئة الأمم المتحدة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، فقد أقاموا مجلس الأمن على ما يقرب من الأسس التي اقترحها رسل، وأخذوا يعالجون مواضع الخلل في بنائهم الاجتماعي فأخذوا يعالجون عيوب التربية في الأمم الراقية والمتخلفة على السواء، وأخذت مؤسسة اليونسكو تبث أضواء الثقافة ونشر نور العرفان على أسس عالمية تهدف إلى التبشير بالإخاء الإنساني بين أهل الأرض جميعاً.

ولكن هل عقلت الأمم الكبرى؟ وهل اتعظت من المجزرتين السابقتين؟ وهل كانت هيئة الأمم المتحدة مبصرة يوم وافقت على قيام إسرائيل؟ ومحق الشعب الفلسطيني، وهل يصدر مجلس الأمن في جميع قراراته عن عدالة؟ وفى بعد عن مناورات الدول الكبرى؟ وهل خلا الطريق من الشوك وسلمت النفوس من الدنايا ؟ وإذا كانت الدول الكبرى لا تزال تدرس ما كتبه رسل في هذا الكتاب، فهل جميع ما أشار إليه أو به هو الصواب المطلق؟

وهل غزو العراق من قبل الولايات المتحدة الأمريكية صدر عن عدل مطلق وعلى أفكار رسل هذه التي دعا إليها في سفره هذا؟ وحرب إسرائيل على غزة هي كذلك أيضاً؟ وغيرها كثير حقاً إن العالم كله يعترف لرسل فضل نضاله من أجل إقرار السلام فقد ظل إلى آخر حياته زعيم جماعة البجواش (وهي الحركة العالمية للعلماء التي تهتم اهتماما خاصا بمشكلات نزع السلاح والتعاون، وتستمد اسمها من اسم مدينة بوجواش بنوفاسكوشيا والتي انعقد بها أول مؤتمر لممثلي الحركة)، التي تضم علماء العالم كله تقريباً مثل راسل وأينشتاين وفردريك جوليو وماكس بون ولفيوس وغيرهم، وجمعهم على التعاون من أجل السلام والإصرار على تغيير حكوماتهم بالأصول التي تنتظر العالم إذا جرهم حقدهم أو جهلهم إلى الحرب.

قائمة المصادر والمراجع :

1 – برتراند رسل، نحو عالم أفضل، ترجمة درينى خشبة، عبدالكريم أحمد، القاهرة : العالمية للطبع والنشر، 1956، ص 5.

2 – برتراند رسل، سيرة حياتي، ترجمة عبدالله عبدالحافظ ...(وآخرون)، القاهرة : دار المعارف، (د.ت)، ص 7.

3 – مصطفى غالب، في سبيل موسوعة فلسفية، بيروت : دار مكتبة الهلال، 1991، ص8.

4 – زكى نجيب محمود، برتراند رسل، ط2، القاهرة : دار المعارف، (د.ت)، ص 126.

5 – عبدالمجيد شيحة، أعاظم رجال الفكر معتقداتهم الفلسفية ومواقفهم التربوية، (د.م) : المحروسة للبحوث والنشر، 2002، ص 448.

6 – برتراند رسل، مثل عليا سياسية، تعريب فؤاد كامل عبد العزيز، (د.م) : الدار القومية للطباعة، (د.ت)، ص 8.

7 – برتراند رسل، العلم والدين، ترجمة أسامة أسير، دمشق : دار الطليعة الجديدة، 1986، ص 100.

8 – إبراهيم يوسف النجار، برتراند رسل فكره وموقعه في الفلسفة المعاصرة، بيروت : الجامعة الأمريكية، 1997، ص 122.

9 – حسونة المصباحى، الفلسفة وقضايا الحياة، تونس : دار المعرفة للنشر، 2007، ص 50.

10 – محمد مهران، فلسفة برتراند رسل، ط 3، القاهرة : دار المعارف، 1986، ص 5.

11 – محمد كمال الدين، رسل الداعي إلى السلام العالمي، مجلة الفكر العربي، ع،61، مارس 1970، ص 70.

12 – حسونة المصباحي، الفلسفة وقضايا الحياة، مرجع سبق ذكره، ص 55.

13 – برتراند رسل، نحو عالم أفضل، مصدر سبق ذكره، ص 9.

14 – الموسوعة الثقافية، نيويورك : مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، 1972، ص 100.

15 – إبراهيم النجار، براترند رسل فكره وموقعه في الفلسفة المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص 122.

16 – رمسيس عوض، برتراند رسل الإنسان، القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر، 1968، ص45.

17 – برتراند رسل، أسس لإعادة البناء الاجتماعي، ترجمة إبراهيم النجار، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1987، ص 198.

18 – برتراند رسل، نفس المرجع السابق، ص 199.

19 – رمسيس عوض، برتراند رسل الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص 45.

20 – برتراند رسل، نحو عالم أفضل، مرجع سبق ذكره، ص 9.

21 – برتراند رسل، نفس المرجع السابق، ص 50.

22 – برتراند رسل، مثل عليا سياسية، مرجع سبق ذكره، ص 8.

23 – ول ديورانت، قصة الفلسفة، ترجمة محمد فتح الله المشعشع، ط6، بيروت : مكتبة المعارف، 1986، ص 592.

24 – برتراند رسل، مثل عليا سياسية، مرجع سبق ذكره، ص 5.

25 – برتراند رسل، ما الطريق إلى السلام، (د.م) : بلايموث، 1936، ص 20.

26 – نصار عبدالله، فلسفة برتراند رسل السياسية، القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب،1987، ص101.

27 – برتراند رسل، مثل عليا سياسية، مرجع سبق ذكره، ص 16.

28 – برتراند رسل، السلطة والفرد، ترجمة لطفية عاشور، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب،1994، ص 75.

29 – الموسوعة الفلسفية العربية، معن زيادة، بيروت :، معهد الإنماء العربي، مج1، 1986، ص 437.

30 – رسل، مثل عليا سياسية، مرجع سبق ذكره، ص 33.

31 – محمد كمال الدين، رسل الداعي إلى السلام العالمي، مرجع سبق ذكره، ص 76.

32 – محمد كمال الدين، المرجع السابق، ص 76.

33 – رمسيس عوض، رسل المفكر السياسي، القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر، 1966، ص 50.

34 – محمد كمال الدين، رسل الداعي إلى السلام العالمي، مرجع سبق ذكره، ص 77.

35 – برتراند رسل، أمال جديدة في عالم متغير، ترجمة عبد الكريم أحمد، على أدهم، القاهرة : دار سعد، (د.ت)، ص 90.

36 – برتراند رسل، المرجع السابق، ص 77.

37 – برتراند رسل، الوعي العام والحرب النووية، (د.م) : (د.ن)، (د.ت)، ص 60.

38 – رمسيس عوض، رسل الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص 57.

39 – ألان وود، برتراند رسل بين الشك والعاطفة، ترجمة رمسيس عوض، القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة، 1998، ص 239.

40 – برتراند رسل، آمال جديدة في عالم متغير، مرجع سبق ذكره، ص 93.

41 – برتراند رسل، نحو عالم أفضل، مرجع سبق ذكره، ص 64.

42 – عثمان نوية، المفكرون من سقراط إلى سارتر، هنري توماس ودانالى توماس، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، 1970، ص 393.

43 – المرجع السابق، ص ص 493 494.

44 – رمسيس عوض، برتراند رسل الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص 57.

45 – رمسيس عوض، المرجع السابق، ص 60.

46 – رمسيس عوض، المرجع السابق، ص 61.

47 – فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، بيروت : دار الجيل، 1993، ص 36.

48 – برتراند رسل، نحو عالم أفضل، مرجع سبق ذكره، ص 85.

49 – محمد كمال الدين، برتراند رسل الداعي إلى السلام العالمي، مرجع سبق ذكره، ص 78.